سلسلة الرسائل التربوية ...

# العواصم من قواصم الفتن

كتبه : د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

تركت فيكم ما لن تضلوا
بعده إن اعتصمتم به
كتاب الله

---

ح أحمد بن عبدالرحمن القاضي ، ١٤٣١ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
القاضي ، أحمد عبد الرحمن
العواصم من قواصم الفتن ./ أحمد عبدالرحمن
القاضي . - عنيزة ، ١٤٣١ هـ
..ص ؛ ..سم
ردمك : ١_٤٧٥٨_٠٠_٦٠٣_٩٧٨
١ - الفتن في الإسلام ٢ - الوعظ والإرشاد أ.العنوان
ديوي ٢١٢،٣ ١٤٣١/٢٧٣١
رقم الإيداع : ١٤٣١/٢٧٣١
ردمك : ١_٤٧٥٨_٠٠_٦٠٣_٩٧٨

---

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، القائلُ : ( وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ )(الأنفال:٢٥) . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائلَ : ( تعوذوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن )رواه مسلم ..... أما بعد :

فإن من سنة الله في الأولين والآخرين أن يبتلي ما في صدورهم ، ويمحص ما في قلوبهم ، بأنواع الفتن الكاشفة ، والمحن القاهرة ، ليعلم الذين نافقوا ، ويعلم المؤمنين . والله عليم بذات الصدور . قال تعالى: ( الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ )(العنكبوت:١-٣) . وما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء , ولا كان من قاصمة ، إلا ولها من الله عاصمة .

**تعريف الفتنة :**

قال الراغب الأصفهاني ، رحمه الله : ( أصل الفَتْنْ : إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته )المفردات٣٧٢ ، وقال ابن منظور : ( قال الأزهري وغيره : جماع معنى الفتنة : الابتلاء والامتحان والاختبار . وأصلها مأخوذ من قولك : فتنت الفضة والذهب ، إذا أذبتهما بالنار ، لتميز الرديء من الجيد)

لسان العرب:٣٣٤٤. مادة(فتن) .

**أنواع الفتن :**

قال ابن القيم ، رحمه الله : ( الفتنة نوعان : فتنة الشبهات ، وهي أعظم الفتنتين ، وفتنة الشهوات . وقد يجتمعان للعبد ، وقد ينفرد بإحداهما )إغاثة اللهفان: ٢/١٦٠ . وميدان الصراع لهذه الفتن ، القلوب ، فعن حذيفة ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : ( تعرض الفِتن على القلوب كالحصير ، عوداً عوداً ، فأي قلب أشربها ؛ نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها ؛ نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين : على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مرباداً ، كالكوز مجخياً ، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكراً ، إلا ما أشرب من هواه )رواه مسلم .

والفتن أقسام ؛ باعتبار ذاتها ، ومآلاتها ، ومتعلقاتها ، فمنها : فتنة الشهوات ، وفتنة الشبهات ، فتنة المؤمن ، وفتنة الكافر ، فتنة المحيا ، وفتنة الممات ، فتنة القبر ، وفتنة النار ، فتنة الرجل في أهله ، وماله ، وولده ، وجاره ، وفتن تموج كموج البحر .

ومرادنا هذا النوع الأخير الذي يعصف بعموم الناس ، ويجتاح الخاص والعام ، ويتتابع ، ويتراكب ، كموج البحر ، وينشأ عنه الهرج والمرج ، حتى يدع الحليم حيراناً . فعن حذيفة ، رضي الله عنه ، قال : ( بينا نحن جلوس عند عمر ، إذ قال : أيكم يحفظ قول النبي صلى الله عليه وسلم ، في الفتنة ؟ قال : فتنة الرجل في أهله ، وماله ، وولده ، وجاره ؛ تكفرها الصلاة ، والصدقة ،

والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . قال : ليس عن هذا أسألك ، ولكن التي تموج كموج البحر . قال : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين . إن بينك وبينها بابا مغلقا . قال عمر : أيكسر الباب أم يفتح؟ قال : لا ، بل يكسر . قال عمر : إذاً لا يغلق أبدا . قلت : أجل . وفي رواية : أكسراً لا أبا لك! فلو أنه فتحٌ لعله كان يعاد . قلنا لحذيفة : أكان عمر يعلم الباب؟ قال : نعم ، كما يعلم أن دون غد ليلة ، وذلك أني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط . فهبنا أن نسأله من الباب ، فأمرنا مسروقا فسأله ، فقال : من الباب؟ قال عمر )رواه البخاري .

فمنذ ذلك الحين ، والفتن تتابع في هذه الأمة ، تذكو تارة ، فتلتهم من استشرفها ، وتخبو أخرى ، فيعافي الله من شاء . وقد جعل الله تعالى لعباده المؤمنين سبلاً وأسباباً تقيهم من الوقوع في أتونها . وحذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من مقدماتها ، وتضاعيفها ، وآثارها . ولم يُحَدِّثِ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ، ومن ثَمَّ أمته ، بهذه الأخبار لتكون مجرد علامة من علامات النبوة ، فحسب ، ولا ليستدفع بها قدر الله المحتوم ، الذي لابد كائن ، وإنما ليستنقذ بها من سبقت له من الله الحسنى ، ويأخذ بحُجَزهم عن النار ، إنْ هم اعتصموا بعواصم الشرع من قواصم الفتن .

وفيما يلي جملة من العواصم ، والعرى الوثقى ، المستمدة من ناطق الكتاب ، وصحيح السنة ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

**١ - الاعتصام بالله :**

قال تعالى : ( وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ )(آل عمران:١٠١) ، قال ابن

كثير ، رحمه الله : (الاعتصام بالله ، والتوكل عليه هو العمدة في الهداية ، والعدة في مباعدة الغواية ، والوسيلة إلى الرشاد ، وطريق السداد ، وحصول المراد)التفسير: ٢/٨٦ . وقال تعالى : ( وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ )(الحج:٧٨) . قال السعدي ، رحمه الله : (أي امتنعوا به ، وتوكلوا عليه في ذلك ، ولا تتكلوا على حولكم وقوتكم ، هو مولاكم الذي يتولى أموركم ، فيدبركم بحسن تدبيره ، ويصرفكم على أحسن تقديره . فنعم المولى لمن تولاه فحصل له مطلوبه ، ونعم النصير لمن استنصره ، فدفع عنه المكروه)التفسير .

ومن الاعتصام بالله : الفزع إلى الصلاة ، فـ(الصلاة نور) رواه مسلم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .رواه الطبري . فعن أم سلمة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فزعا يقول : (سبحان الله! ماذا أنزل الله من الخزائن! وماذا أنزل من الفتن! من يوقظ صواحب الحجرات ، يريد أزواجه ، لكي يصلين . رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)رواه البخاري.

ومن الاعتصام بالله : دعاؤه ، سبحانه ، والاستعاذة به من الفتن . فعن أنس ، رضي الله عنه ، قال : (سألوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة ، فصعد النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم المنبر فقال : لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم . فجعلت أنظر يمينا وشمالاً ، فإذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي ، فأنشأ رجل كان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه ، فقال : يا نبي الله : من أبي؟ فقال : أبوك حذافة . وفي رواية : فقال رجل : يا رسول الله ، في الجنة أنا أو في النار؟

قال : في النار . ثم أنشأ عمر فقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً . نعوذ بالله من سوء الفتن . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط! إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط)رواه البخاري ، وفي رواية : (عائذا بالله من سوء الفتن أو قال أعوذ بالله من سوأى الفتن) فينبغي للمؤمن أن يفزع إلى ربه ومولاه ، ويسأله العافية من كل فتنة عمياء .

**٢- الاعتصام بكتاب الله :**

قال تعالى : ( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ )(الإسراء:٩) . وقد ختم النبي صلى الله عليه وسلم ، خطبته يوم عرفة ، بقوله : (وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله)رواه مسلم .

وعن الحارث الأعور الهمداني ، قال : مررت في المسجد ، فإذا الناس يخوضون في الأحاديث ، فدخلت على علي ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال : وقد فعلوها؟ قلت : نعم . قال : أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ألا إنها ستكون فتنة . فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال : كتاب الله ؛ فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . وهو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم . هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا

تنقضي عجائبه . هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : " إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد" من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور) . قال أبو عيسى : هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال . سنن الترمذي ج٥/ص١٧٢ . والدارمي ، وابن أبي شيبة . وقال ابن كثير : وقد روي موقوفا عن علي رضي الله عنه وهو أشبه والله أعلم ١/٢٨ .

فالواجب الاعتصام بكتاب الله ، والرد إليه عند الاختلاف ، ونزول الفتن ، كما أمر تعالى : ( وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ )(الشورى:١٠).

**٣ - الاعتصام بالسنة :**

عن أبي نجيح ، العرباض بن سارية ، رضي الله عنه ، قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع ، فأوصنا . قال : ( أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد ؛ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا . فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ . وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل بدعة ضلالة )رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ومن أسباب الاعتصام بالسنة : إفشاء العلم ، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( يتقارب الزمان ، وينقص العلم ، ويلقى الشح ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج . قالوا : يا رسول الله ، أيما هو؟ قال : القتل القتل ) ، وفي رواية : ( إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ، ويرفع فيها العلم

ويكثر فيها الهرج ) وفي أخرى : ( بين يدي الساعة أيام الهرج ، يزول فيها العلم ، ويظهر فيها الجهل )رواه البخاري . فبين زوال العلم أو نقصه ، وظهور الفتن تلازم ظاهر ، فيكون استدفاع الفتن بإفشاء العلم وبثِّه .

ومن الاعتصام بالسنة : الحذر من الابتداع ، والإحداث ، والتبديل ، فعن عبد الله بن مسعود قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( أنا فرطكم على الحوض ، فليرفعن إلي رجال منكم ، حتى إذا أهويت لأناولهم ، اختلجوا دوني ، فأقول : أي رب : أصحابي! يقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك )رواه البخاري .

قال الحافظ ابن حجر : ( تضمن حديث الباب ، الوعيد على التبديل والإحداث ، فإن الفتن ، غالباً ، إنما تنشأ عن ذلك )الفتح:١٣/٧.( بتصرف يسير) .

**٤- لزوم جماعة المسلمين :**

قال تعالى : ( وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا )(آل عمران:١٠٣) .

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويسخطُ لكم ثلاثاً ؛ يرضى لكم أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم . ويسخطُ لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال )رواه مسلم.

وعن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( من رأى من أميره شيئا يكرهه ، فليصبر عليه ، فإنه من فارق الجماعة شبرا ،

فمات ، إلا مات ميتة جاهلية)رواه البخاري. قال ابن أبي جمرة : (المراد بالمفارقة : السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير ، ولو بأدنى شيء ، فكنَّى عنها بمقدار الشبر ، لأن الأخذ بذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق)الفتح:١٣/١٠.

وعن حذيفة بن اليمان ، رضي الله عنه ، قال : (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. فقلت : يا رسول الله ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال : نعم ، وفيه دخن . قلت : وما دخنه؟ قال : قوم يهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال : نعم ؛ دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها . قلت : يا رسول الله ، صفهم لنا . قال : هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا . قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)رواه البخاري .

قال الطبري : ( والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره ، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة )الفتح:١٣/٤٧.

فدلت هذه النصوص المحكمة على وجوب لزوم جماعة المسلمين ، وتحريم مفارقتهم والشذوذ عنهم ، وأن يسع المرء ما وسع علماءهم ، وفضلاءهم ، وأهل الحل والعقد منهم . وأن يتهم رأيه فيما خالف فيه أمر الجماعة .

هذا ، وإن من توهين عقد الجماعة : التفرق والتحزب ، وتصنيف المسلمين ، والتنابز بالألقاب التي تشتت وحدتهم ، وتفرق جماعتهم ، وتزرع العداوة والشحناء في نفوسهم . كما أن من تقوية الجماعة : جمع الكلمة ، والدعوة إلى الائتلاف ، ونبذ الخلاف ، ونشر المحبة ، وحسن الظن بالمسلمين .

**٥ - طاعة ولاة الأمر بالمعروف ، وعدم الخروج عليهم :**

قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ )(النساء:٥٩) .

وعن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنكم سترون بعدي أثرة ، وأموراً تنكرونها . قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال : أدوا إليهم حقهم ، وسلوا الله حقكم)رواه البخاري .

وعن جنادة بن أبي أمية قال : (دخلنا على عبادة بن الصامت ، وهو مريض ، قلنا : أصلحك الله ، حدث بحديث ينفعك الله به ، سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم . قال : دعانا النبي صلى الله عليه وسلم ، فبايعناه ، فقال فيما أخذ علينا ، أن بايَعنا على السمع والطاعة ، في منشطنا ، ومكرهنا ، وعسرنا ، ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، إلا أن ترو كفرا بَواحاً ، عندكم من الله فيه برهان)رواه البخاري . فدل الحديث على أمرين : **أحدهما** : وجوب السمع والطاعة في مختلف الأحوال ، بمقتضى عقد البيعة .

**الثاني** : تحريم الخروج على ولاة الأمر ، إلا بشروطٍ أربعة :

**الأول** : الرؤية المحققة . فلا يُعتمد على الإشاعات والبلاغات غير الموثقة .

**الثاني** : كونه كفراً لا فسقاً . فلا يحل الخروج بمجرد المعصية ، أو الظلم .

**الثالث** : كونه بواحاً . قال الخطابي : (معنى قوله بَواحا : يريد ظاهراً بادياً ، من قولهم باح بالشيء يبوح به بوحاً وبواحاً ، إذا أذاعه وأظهره)الفتح:١٣/١١. فلا يحل الخروج في أمور مستترة غير ظاهرة .

**الرابع** : وجود البرهان ، وهو الدليل القاطع من آية محكمة ، أو سنة ثابتة . فإن كانت مسألة خلافية ، أو ظنية لم يُبِح الخروج . قال الحافظ في معنى البرهان : (أي نص آية ، أو خبر صحيح ، لا يحتمل التأويل . ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل)الفتح:١٣/١١.

وعن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عيه وسلم : (من خلع يداً من طاعة ، لقي الله ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة ، مات ميتة جاهلية)رواه مسلم .

وعن يزيد بن سلمة الجعفي ، رضي الله عنه ، أنه قال : يا رسول الله : إن كان علينا أمراء يأخذون بالحق الذي علينا ، ويمنعونا الحق الذي لنا ، أنقاتلهم؟ قال : (لا . عليهم ما حملوا ، وعليكم ما حملتم)رواه الطبراني . وفي رواية عن أم سلمة ، رضي الله عنها : أفلا نقاتلهم؟ قال : (لا . ما صلوا)رواه مسلم . ومن حديث عوف بن مالك ، رضي الله عنه : قلنا : يا رسول الله : أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال : (لا . ما أقاموا الصلاة) وفي رواية : (وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه ، فاكرهوا عمله ، ولا تنزعوا يداً من طاعة)رواهما مسلم .

فدلت هذه النصوص النبوية المحكمة على وجوب طاعة الولاة بالمعروف ، والصبر على ما قد يكون من جورهم ، وتحريم الخروج عليهم لمجرد مظلمة

لا تبلغ حد الكفر البواح . وقد دأب أهل السنة والجماعة على تدوين هذه القضية في مصنفاتهم العقدية ، لعظيم خطرها ، وكبير أثرها على الأمة . قال الحافظ ابن حجر : (أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب ، والجهاد معه ، وأن طاعته خير من الخروج عليه ، لما في ذلك من حقن الدماء ، وتسكين الدهماء)الفتح:١٣/١٠.

وليس من مقتضى ذلك ، ترك النصيحة لأئمة المسلمين ، وولاتهم ، ولا هجر الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، كلا! بل تنسجم القضيتان في منظومة البناء الاجتماعي للأمة ، في إطار المحبة ، والثقة ، والتناصح بين الراعي والرعية ، لا في سياق تصيد الأخطاء ، والظفر بالزلات ، التي تسود المجتمعات ذات الطبيعة الحزبية .

**٦ - تعظيم حرمات المسلمين :**

قال تعالى : ( وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ )(النساء:٩٣) .

وعن جابر بن عبدالله ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خطب الناس ، يوم عرفة فقال : ( إن دماءكم ، وأموالكم ، حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة . وإن أول دم أضع من دمائنا ، دم ابن ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعاً في بني سعد ، فقتلته هذيل . وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع ربانا ، ربا عباس بن عبدالمطلب . فإنه

موضوع كله )رواه مسلم .

وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (من حمل علينا السلاح فليس منا)رواه البخاري . وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح ؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار)رواه البخاري . وعن جابر أن رجلاً مر في المسجد بأسهم قد بدا نصولها ، فأُمر أن يأخذ بنصولها ، لا يخدش مسلما .رواه البخاري .

وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا مر أحدكم في مسجدنا ، أو في سوقنا ، ومعه نبل ، فليمسك على نصالها ، أو قال : فليقبض بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء)رواه البخاري . قال ابن العربي : (إذا استحق الذي يشير بالحديدة اللعن ، فكيف الذي يصيب بها ؟)الفتح:١٣/٣٢ .

فمن وقر في قلبه معاني هذه النصوص ، أحجم عن أذية أخيه المسلم ، بقول ، أو فعل ؛ في نفسه ، أو ماله ، أو عرضه ، وعظَّم حرمته ، ورعى حقه .

**٧ - الرجوع إلى أهل العلم :**

قال تعالى : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ )(النحل:٤٣) ، وقال : (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ )(النساء:٨٣) .

عن أبي المنهال قال : لما كان ابن زياد ، ومروان بالشام ، ووثب ابن الزبير بمكة ، ووثب القراء بالبصرة ، فانطلقت مع أبي إلى أبي برزة الأسلمي ، حتى دخلنا عليه في داره ، وهو جالس في ظل عُلِّيَّة له من قصب ، فجلسنا إليه . فأنشأ أبي يستطعمه الحديث ، فقال : يا أبا برزة ، ألا ترى ما وقع فيه الناس؟ فأول

شيء سمعته تكلم به : إني احتسبت عند الله ، أني أصبحت ساخطا على أحياء قريش . إنكم يا معشر العرب كنتم على الحال الذي علمتم من الذلة ، والقلة ، والضلالة . وإن الله أنقذكم بالإسلام ، وبمحمد ﷺ ، حتى بلغ بكم ما ترون ، وهذه الدنيا التي أفسدت بينكم . إن ذاك الذي بالشام ، والله إن يقاتل إلا على الدنيا . وإن هؤلاء الذين بين أظهركم ، والله إن يقاتلون إلا على الدنيا . وإن ذاك الذي بمكة والله إن يقاتل إلا على الدنيا)رواه البخاري . وفي رواية : (فقال أبي : فما تأمرني إذاً؟ فإني لا أراك تركت أحداً؟ قال : لا أرى خير الناس اليوم ، إلا عصابة ، خماص البطون من أموال الناس ، خفاف الظهور من دمائهم) .

فينبغي الرجوع إلى أهل العلم الراسخين ، الذين شابت أصداغهم في طلب العلم ، وانقطعت أطماعهم عن الدنيا ، وعظمت شفقتهم على الأمة ، فإن الله أحال عليهم ، فقال : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ )(النحل:٤٣) ، وأرى رأيهم ، فقال : ( وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ )(سبأ:٦) ، وقرن شهادتهم بشهادته ، وشهادة ملائكته ، فقال:( شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ )(آل عمران:١٨) .

**٨ - النظر في العواقب :**

قال ابن عيينة ، عن خلف بن حوشب : كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن ، قال امرؤ القيس :

الحربُ أولُ ما تكون فتيةً    تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشُب ضرامُها    ولت عجوزا غيرَ ذاتِ حليل
شمطاءَ ينكر لونها وتغيرت    مكروهةً للشم والتقبيل

وكان خلف ، رحمه الله ، يقول : (ينبغي للناس أن يتعلموا هذه الأبيات في الفتنة) .

وعن أبي وائل قال : قيل لأسامة : لو أتيت فلانا فكلمته . قال : (إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم! إني أكلمه في السر دون أن أفتح باباً لا أكون أول من فتحه)رواه البخاري. قال الحافظ : (يعني : لا أكلمه إلا مع مراعاة المصلحة ، بكلام لا يهيج الفتنة)الفتح:١٣/٦٥. وقال عياض : (مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام ، لما يخشى من عاقبة ذلك ، بل يتلطف به ، وينصحه سراً ، فذلك أجدر بالقبول)الفتح:١٣/٦٧ .

وكثيراً ما تستخف بعض المقدمات العاطفية ، والحماس الفائر ، بعض الناس ، فتعميه عن النظر في العواقب ، وتقدير النتائج ، فتزل به قدم ، ويندم ولات ساعة مندم .

**٩ - الحذر من فتنة المال :**

عن أم سلمة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : استيقظ رسول الله ﷺ ، ليلة ، فزعا ، يقول : (سبحان الله! ماذا أنزل الله من الخزائن ، وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ يريد أزواجه ، لكي يصلين . رب كاسية في الدنيا ، عارية في الآخرة)رواه البخاري . قال ابن بطال : (في هذا الحديث : أن الفتوح في الخزائن ، تنشأ عنه فتنة المال ، بأن يتنافس فيه فيقع القتال بسببه ، وأن يبخل به ، فيمنع الحق ، أو يبطر صاحبه ؛ فيسرف)الفتح:١٣/٣٠ .

وعن عمرو بن عوف الأنصاري ، (أن رسول الله ﷺ ؛ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين ، يأتي بجزيتها ، وكان رسول الله ﷺ ؛ هو صالح أهل

البحرين ، وأمَّر عليهم العلاء بن الحضرمي . فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين . فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة ، فوافت صلاة الصبح مع النبي ﷺ ، فلما صلى بهم الفجر ، انصرف ، فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله ﷺ ؛ حين رآهم ، وقال : أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء؟ قالوا : أجل يا رسول الله . قال : فأبشروا ، وأمِّلوا ما يسركم ، فوالله لا الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا ، كما بسطت على من كان قبلكم ، فتَنافسوها كما تَنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم)متفق عليه .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا)رواه البخاري.

وعن أبي بن كعب ، رضي الله عنه ، قال : لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا؟ قلت : أجل . قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب ، فإذا سمع به الناس ساروا إليه ، فيقول من عنده : لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله . قال : فيقتتلون عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون)رواه مسلم .

هذا ، وإن الترف من أعظم دواعي الفتنة والهلاك ، كما قال تعالى : ( وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ )(الإسراء:١٦) ، وقال : ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ )(النحل:١١٢) .

**١٠ - اعتزال الفتنة :**

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي . من تشرف لها تستشرفه . فمن وجد فيها ملجأ ، أو معاذاً ، فليعذ به)رواه البخاري .

قال الحافظ : (وفيه التحذير من الفتنة ، والحث على اجتناب الدخول فيها ، وإن شرها يكون بحسب التعلق بها)الفتح:١٣/٤٠ .

وعن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (تكون فتنة النائم فيها خير من المضطجع ، والمضطجع فيها خير من القاعد ، والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الراكب ، والراكب فيها خير من المجري . قتلاها كلها في النار . قلت : يا رسول الله ، ومتى ذلك؟ قال : ذلك أيام الهرج . قلت : ومتى أيام الهرج؟ قال : حين لا يأمن الرجل جليسه . قلت : فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال : كف يدك ولسانك ، وادخل دارك . قال : قلت : يا رسول الله ، أرأيت إن دخل علي داري؟ قال : فادخل بيتك ، قال قلت : أفرأيت إن دخل علي بيتي؟ قال : فادخل مسجدك ، واصنع هكذا ؛ وقبض بيمينه على الكوع ، وقل : ربي الله ، حتى تموت على ذلك)قال البزار في مجمع الزوائد(٧/٣٠١): رواه أبو داود باختصار رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما ثقات .

وعن خرشة بن الحر ، مرفوعاً : (فمن أتت عليه ؛ فليمش بسيفه إلى صفاة فليضربه بها ، حتى ينكسر ، ثم ليضطجع لها ، حتى تنجلي)رواه أحمد وأبو يعلى .

وعن أبي بكرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنها ستكون فتن . ألا ثُمَّ تكون فتنة ، القاعد فيها خير من الماشي فيها ، والماشي فيها خير من الساعي إليها . ألا فإذا نزلت أو وقعت ، فمن كان له إبل فليلحق بإبله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه . قال : فقال رجل يا رسول الله : أرأيت من لم يكن له إبل ، ولا غنم ، ولا أرض؟ قال : يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ، ثم لينج إن استطاع النجاء . اللهم هل بلغت! اللهم هل بلغت! اللهم هل بلغت! قال : فقال رجل : يا رسول الله ، أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين ، أو إحدى الفئتين ، فضربني رجل بسيفه ، أو يجئ سهم فيقتلني؟ قال : يبوء بإثمه وإثمك ، ويكون من أصحاب النار)رواه مسلم .

اللهم أرنا الحق حقاً ، وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً ، وارزقنا اجتنابه ، ولا تجعله مشتبهاً علينا ، فنهلك . اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن . اللهم إنا نعوذ بك أن نضِل أو نُضَل ، أو نزلَّ أو نُزَل ، أو نظلم أو نُظلم ، أو نجهل أو يُجهل علينا . ولا تكلنا إلى أنفسنا ، ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين ، وكِلنا إليك وحدك ، فإنك نعم المولى ونعم النصير . وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه/ د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي
عنيزة . في : ١٤٢٥/٥/٢٠هـ

---

تركت فيكم ... لن تضلوا
بعده إن ا... ـصمتم به

ترخيص وزارة التجارة والصناعة رقم ١٠١ بتاريخ ١٤٢٧/٣/٢٥ هـ
هاتف : ٠٦٣٦٥٧٣٣٢ ، ناسوخ : ٠٦٣٦٥٧٣٣١ ، عنيزة ص.ب : ٢٤٦ ، الرمز : ٥١٩١١
جوال : ٠٥٠٥١٣٢٤٦٨ ، البريد الإلكتروني : al-musheer@al-musheer.com